في محكمة الأحداث [1]

للأستاذ منير كريدية

كان من برنامج دراستي في معهد نيويورك ، للخدمة الاجتماعية ، بجامعة كولومبيا أن أقوم بعض الزيارات لمؤسسات اجتماعية — حكومية وخاصة — وكنت أجد في ذلك فائدة عظيمة ، اذ كان يتاح لي أن أطلع عن كثب ، على كل ما يتعلق بالخدمة الاجتماعية في أميركا ، وأتعرف الى العاملين الاجتماعيين في هذه البلاد ، وأتحدث معهم في كل ما يهمني معرفته ، وقد كنت أجد منهم كل مساعدة. انزويدني عما أسأل عنه ، وعما يستلفت نظري ، وكنت في بعض الأوقات اجلس معهم حول مائدة ، ونتناقش في بعض المواضيع الاجتماعية ، وكنت ألمس فيهم رغبة في معرفة أساليب الخدمة الاجتماعية في البلاد العربية ، وكان الحديث عن العاملين الاجتماعيين العرب يهمهم بصورة خاصة .

وكان من جملة هذه المؤسسات التي قمت بزيارتها ، « محكمة منهاتن للاحداث » ولقد أمضيت فيها يوماً واحداً ، وشاهدت كيفية الأساليب التي يحاكمون بها الاحداث ، وقد جلست بجانب أحد القضاة ، ورحت أستعرض معه القضايا المقدرة ذلك اليوم .

لقد كانت قضايا عادية ، كثيراً ما شاهدت مثلها في محاكم الاحداث ، بلبنان ومصر ودمشق ، كانت عبارة عن سرقات قام بها بعض الاحداث ، أو حوادث اجرامية ارتكبوها ، وطبيعي إن هذا يحدث في كل مكان ، وقد استلفت نظري هنا ان الاحداث ، كانوا يعترفون بالاعمال التي ارتكبوها بسرعة ، وكانوا بجانب ذلك الاعتراف ، يذكرون الأسباب التي دفعتهم لذلك ، كان يحدث كل هذا بصورة طبيعية ، لا أثر فيها للكذب أو

(١) حديث على « صوت أميركا » للاستاذ منير كريدية ضمن « الفقط »

التكلف ، وكنت أجد القاضي يظهر اهتماماً خاصاً في التعرف الى هؤلاء الاحداث ، وإلى تفهم أمورهم العائلية ، حتى انه كان يطلب من أولياء أمور الاحداث ، الحضور إلى المحكمة ، ليستعرض معهم مشاكل أطفالهم ويتعاون معهم للوصول إلى العلاج الصالح الذي ينقذ هؤلاء الأطفال ويجعلهم يسيرون في الطريق السوي ، وكان أيضاً يطلب من رئيس « نادي الاحداث » وهي نواد منتشرة في أغلب الأحياء في المدن الأميركية ، ويقوم عليها اخصائيون وعاملون اجتماعيون ، كان القاضي يطلب من رئيس النادي التابع له ذلك الطفل الحضور أيضاً ، ليتعاون معه ومع عائلة الطفل .

ولقد كان يهيأ لي أننا لسنا في محكمة ، بل اننا في مجلس عائلي ، نستعرض مشكلاً من المشاكل وقع فيه طفلنا ، ونبحث في كيفية حله وانقاذه منه ، ولعل ذلك يظهر بصورة جلية في احدى هذه القضايا التي شاهدتها في ذلك اليوم .

❖

تتلخص تلك القضية ، في أن طفلاً في العاشرة من عمره ، سرق من شخص في أحد المقاهي ساعة ، ولقد شاهده أحد رجال الشرطة ، وقبض عليه بالجرم المشهود .

عندما دخل الطفل ساحة المحكمة ، ووقف أمام القاضي كانت تظهر عليه علائم الخوف والرعب ، وقد كاد أن يبكي ، ولكن رقة القاضي وحسن معاملته ، خففا كثيراً من عذاب الطفل ، فسرعان ما اطمأن للقاضي وتحدث إليه كأنه أمام صديق له .

سأل القاضي الطفل عن اسمه ، فأجابه هذا انه « جون سميث » ، وصمت القاضي قليلاً . ثم يقول للطفل — انك تذكرني بصديق لي يحمل نفس الاسم ، انه كان زميلاً لي في المدرسة وكان من خيرة الطلاب ، وبعد أن انتهينا من الدراسة ، انصرف هو إلى اكمال تحصيله في كلية الطب ، وتابعت أنا دراستي في مدرسة الحقوق ، ولقد أصبح فيما بعد طبيباً مشهوراً ، اني أفتخر بصداقته كثيراً ، ويسرني أن أقول إني أكاتبه من وقت لآخر .

ثم ألتفت إلى الطفل وقال : صدقني اني جد متأثر من وجودك أمامي الآن ، فانه ليعز عليّ أن أجد شاباً يحمل اسم صديقي الذي أحترمه كثيراً ، واقعاً في مشكل من المشاكل ، ولكني متأكد من اننا — أي أنا وأنت — نستطيع حل هذا المشكل ، وبالتالي اني سأفوز بصديق جديد ، ولكن يتوقف هذا على ما تقدمه أنت من مساعدة فما قولك بذلك ؟ ! ابتسم الطفل ، وراح ينظر إلى القاضي نظرات بريئة ، ثم قال : صدقني

أود ذلك من كل قلبي ، وتقدم من القاضي ، وأخذ من أمامه الساعة ، وسأله : ألا ترى من الخير ان نعيد الساعة الى صاحبها ، فهز القاضي رأسه موافقاً ، ومشى الطفل إلى الرجل وقدم إليه الساعة واعتذر اليه ، ووعد بألا يعود لمثل ذلك ، فأخذها هذا شاكراً ، وابتسم القاضي وقال للطفل : انك قمت بعمل شريف ، ثم التفت القاضي الى رئيس النادي الذي كان بجانبه ورجاه أن يعير الطفل من مكتبة النادي ثلاثة كتب سماها له ، وقال للطفل : إني لارجو أن أتحدث معك في مواضيع هذه الكتب الثلاثة ، بعد أن تكون قد قرأتها ، وهكذا انتهت هذه القضية .

❖

وكان ان اجتمعت الى القاضي بعد أن فرغ من عمله ، ورحت أتحدث معه في بعض أمور تتعلق بالقضايا التي استعرضها في ذلك اليوم ، وعندما وصلنا الى قضية الطفل «جوني ميتش» أبديت عجبي لتلك المعاملة التي عامله بها ، خصوصاً وان الجرم ظاهر والطفل قد اعترف به ، اني لاذكر دوماً جواب ذلك القاضي هذا الجواب الذي أتمنى أن يكون مثالاً يتخذه كل قاض يشرف على محكمة الاحداث ، وعنواناً لكل من يقوم على اعداد الطفل وتعليمه ، لقد قال لي القاضي : اسمع يا صديقي ، اننا في أميركا نستطيع أن نشيد بناية كالامبير ستيت — وهي أعلى بناء في العالم — في سنة واحدة ، ونستطيع صنع عاصفة طائرات في شهر واحد ، ولكننا لاعداد المواطن الاميركي الصالح نحتاج الى وقت طويل ، أننا نحتاج الى عشرين سنة .

نعم ، إن اعداد المواطن الصالح ، يحتاج إلى وقت طويل ، انه يحتاج إلى عشرين سنة كما قال ذلك القاضي ، ان هذا ليس في أميركا فقط ، بل في كل من بلاد العالم ، لقد حان الوقت الذي يجب علينا أن نؤمن فيه ، اننا لاعداد المجتمع الصالح ، علينا أولاً وقبل كل شيء ، أن نتوجه إلى الفرد ، وأن نعده اعداداً صالحاً ، فالفرد الصالح هو الأساس الأول للمجتمع الصالح .